مشاهد الصحـراء وأثــرها في الشّــعر الجاهلــيّ والحديث
دراسة وصفية تحليلية موازنـــة

د. إبراهيــم امحمد السّــلوقـــي ـ جامعة الزاويــة.

الملخّـــــــص :

صوّر الشعر الجاهلي الصحراء بمشاهديها الساكنة والمتحركة والتي أظهرها في صورة جلية وواضحة تسترعي الانتباه وتجذب الأنظار وتستولي على المشاعر والأحاسيس ، وصورها الشاعر كما رآها وتفاعل معها باعتباره عاش الحدث ، وتنقّل بين جوانبه فكان فيها كل الصدق والواقعية ، إلا أن الشعر الحديث صور الصحراء بذوقه المرهف وإمكاناته التي اكتسبها من عصره والسبب في ذلك هو امتزاجه بالصحراء فجعلها تشاركه أحزانه وآلامه ويلجأ إليها كلما شعر بضيق من هموم الحياة القاسية التي فرضها عصره ، وجعل تلك الصحراء لسان حاله في التعبير عن ذاته ووجدانه.

المقدمـــة :

بسم الله والحمد والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

لكي أدرس هذا الموضوع دراسة مستقلة نبرز فيها مشاهد الصحراء قديمًا وحديثًا ، والتـــي استحوذت على اهتمام الشـــعراء وتقف عند الخصائص الفنية لهذا الشعر الذي حمل لنا عـبر العصور الزمنية تلك الصــور الطريفة الجميلة التي تنقلها على مـــرّ الزمان والمكان إلـــى الأجواء التي يعيش فيها الشاعـــر العربي وغيط اللثام عن شخصية الشاعر المعاصر الذي تطرّق إلى وصف الصحراء ومشاهديها كما فعل الشاعر القديم ولعقد هذه الموازنـــة نوضّـــح ما اتفق فيه الشاعر الجاهليّ والشاعر الحديث وما اختلفوا فيه وما تفر به كل منهم عن الآخر في وصف مشاهد الصحراء .

أهمية البحث:

من خـــلال البحث والدراسة والموازنة بين العصرين تبيّن أن الشعراء الجاهليين قد برعـــوا في تصوير الصحراء بظواهرها الساكنة والمتحركة ؛ ولذا كانت اللغة التي يستخدما الشاعر في شعرة قابلة لتعدد الإيحاءات وكثرة التأويلات ، وليس أدل من ذلك موهبته العالية في اختيار الألفاظ وتركيب الصور الإبداعية الجميلة فكان مهتما

بالصورة الخارجية ، وأما الشاعـــر الحديث : فقد كان مهتما بما هو أبعد من تلك الأوصاف الخارجية فظهرت فيها الأحاسيس والمشاعر الداخلية .

والمدارس الشعرية التي ظهرت في العصر الحديث تعبر عن وجدان الشاعر وإذا لم يعبر عن الوجدان رموه بالجمود والتقليد.

موضـــوع البحث:

إن دراسة مشاهد الصحراء وأثرها في الشعر الجاهلي والحديث والتي استحوذ على اهتمام الشعراء بحيث تكون الدراسة مستقلة أبرز فيها مظاهر الصحراء قديما وحديثا ، وتظهر من خلالهما الحالة الحقيقية لهذا الشعر الذي حمل لنا عبر العصور تلك الصورة الطرفية التي تنقلها عبر الزمان والمكان إلى تلك الأجواء التي يعيش فيها الشاعر العربي.

منهج البحث:

سيعتمد هذا البحث على منهجـــي التحليل والموازنة ؛ لأنهما منهجان مهمان للنقد والموازنة وتوضيح ما اتفق في الشعر الجاهلي والحديث وما اختلفوا فيه، وما تفرد به كل واحد منهم عن الآخر في وصف مشاهد الصحراء.

هيكلية البحث.

طبيعة البحث اقتضت أن يخرج في مقدمة ، ومبحثين، وخاتمة، فكان المبحث الأول عن الموازنة في مشاهد الصحراء الساكنة بين الشعر الجاهلي والحديث، والمبحث الثاني: الموازنة في مشاهد الصحراء المتحركة بين الشعر الجاهلي والشعر الحديث.

المبحث الأول ـ الموازنة في مشاهد الصحراء بين الشعر الجاهلي والحديث:

الموازنة بين الشعراء فن قديم في الأدب العربي، وأكثر نقاد العرب في الموازنات بين الشعراء فقد وازنوا بين الشعراء القدماء عامة، وكذلك بين الشعراء المحدثين بعامة، وكذلك وازنوا بين الشـــعراء المعاصرين وغير المعاصرين نفهم على سبيل المثال ، موازنة بين جرير، والفرزدق، والأخطل وبين جميل، وعمرو بن أبي ربيعة وبين البحتري وأبي تمام وبين الشاعر المتنبي ، وبين غير أولئك من سواهم من شعراء العربية. فبالنظر إلى كتب الموازنات ، نجد كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، فالآمدي قد اتبع خطوات جد عظيمة تُنير لنا الطريق ، وتوضّح لنا المعالم في مجال الموازنة بين الشـــعراء في هذا الجانب لقد اشاروا إلى عدة أمور أهمها:

1 – العودة إلى من سبقه في هذا المجال لينتفع بالتوجيهات والخبرات.

2 – يكون الحكم الأول والأخير على الذوق المرهف الذي صحح بين الدربة والطبع.

3 – ترك المجال على الشاعر فينبغي أن يترك للقارئ الاستخلاص من خلال القراءة.

4 – إذا وازن النقاد بين شاعرين فلا ينبغي أن يطلق على واحد منهما أنه أشعر من صاحبه على الاطلاق، فالموازنة تكون بين معنى ومعنى وبين أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه ، ولا يكون الحكم مطلقا ؛ بل مقيدا في ذلك الجانب.

5 – أن تكون لديه الرغبة في الاتصالات والعدل والموازنة ، وذلك من خلال النظر المتأني في شـــعر الشعراء الجاهليين، والمحدثين، ونبين أنهم قد تناولوا العديد من الموضوعات، إلا أن صورة الصحراء قد استحوذت على قدر كبير من شعرهم ، وخصوصا شعراء العصر الجاهلي .

وبهذه الموازنة يتضح لنا الخصائص المشتركة الشاعر الجاهلي والشاعر الحديث ، و- أيضا - على ما اختلفنا فيه ، ولا تتغير الموازنة إلى بيان أيهما أشعر ؛ وإنما الخلاف توضيح مدى تأثير المحدثين بالجاهليين ومدى أصالتهم وإبداعهم في هذا الفن وتكون البداية بالأطلال .

أولا – الأطـــلال : كثيرا ما وقف شعراء الجاهلية على الأطلال يسألونها عن أحبابـهم ، ويستعيدون بها ذكرياتهم ويذرفون على سفوحها سخين دموعهم وعبراتهم وليعبروا عن الوفاء لها ولمن سكنها. ويلاحظ أن أغلب قصائدهم كان استهلالها بالأطلال والاستهلال تابع لغيره من الأغراض حيث كان يمثل أصدق العواطف وأنبلها وأوفاها . **و**من هـــؤلاء الشعراء وفي مقدمتهم امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى ، وعنترة ، فعلى سبيل المثال نرى امرى القيس يبدأ معلقة؛ إذ يقول (1) :

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَعِرفانِ وَرَســـمٍ عَفَت آياتُهُ مُنذُ أَزمانِ

فكان الاستهلال في أغلب قصائده وتبعه الشعراء في هذا الجانب ، فإن ذكر الأطلال وتصويرها كان سائدا في مقدمة قصائدهم ذلك راجع إلى تعلق الأطلال بالمحبوبة فهي تمثل عامل النقاء عند الشاعر الجاهلي ؛ ولأن الشاعر الجاهلي باعتباره إنسانا كان يتجاذبه عاملان قويان ، العامل الأول عامل الفناء العامل الثاني عامل البقاء . عامل الفناء – يتمثل في الرياح والعواصف وغيرها ، وعامل البقاء – يتمثل في حب المرأة

فإذا ما انتقلنا إلى العصور التي تلت العصر الجاهلي نجد أن الشعر المتعلق بالأطلال لم يكن غزيرا كما في العصر الجاهلي ؛ لأن ذكر الاطلال في العصر الجاهلي يُعد جُزءًا

لا يتجزأُ من حياة العربي آنذاك ، فقد افتتح الشاعــرُ الجاهلي بعض القصائد بالوقوف على الأطلال محاكاة وتقليدا للقدماء منها قول البحتري:(2)

وَقِفنا فَلا الأَطلالُ رَدَّت إِجابَةً وَلا العَذلُ أَجدى في المَشوقِ المُخاطَبِ

وكثير من الشـــعراء الذين جاءوا بعد العصر الجاهلي كانوا يعيشون في بيئات حضارية ذكروا الأطلال في قصائدهم ، والجدير بالذكر أن ذكر الأطلال عندهم تطور إلى الوقوف بالأثار ، حيث نرى الشعراء يذكرون آثار الحضارات الأخرى طويلا بعد أن كان عابرا بالأطلال ، وفي هذا الوقوف الطويل يستشعرون الأسى على المجد الغابر أو يستظهرون الإعجاب بروعة الأثر أو يلتمسون منها المواعظ والعبر(3) ، ومنها قول البحتري في وصف أيوان كسرى مطلعها .

صُنتُ نَفسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفسي وَتَرَفَّعتُ عَن جَدا كُلِّ جِبسِ

وفي العصر الحديث سلك نهج الأطلال نهجا يختلف عن وصفها في العصر الجاهلي حيث كان الوصف في العصر الجاهلي من الخارج .، وأما المحدثون كانوا يتميزون بها ويشخصونها ويعبرون عن كل ما امتلأت به نفوسهم من أحاسيس ومشاعر، وذلك في قول إبراهيم ناجي شاعر الأطلال في العصر الحديث ، يقول(4) :

يا فـــؤادي رحم الله الهوى كان صرحاً من خيال فهوى
اسقني واشرب على أطلاله وارو عني طالما الدمع روى

فالحقيقة أن ناجيا أبدع في هذا الأبيات أيما إبداع، فكانت لوحة فنية رائعة بصورها الحية والمتحركة وجمادتها المشخصة تحاور الشاعر وتتفاعل معه فأطلال (ناجي) ليست كأطلال غيره من الشعراء القدامى ، حين كانت أطلالهم رسومًا وآثارًا وبقايا ديار تهجع الذكريات ، فهي اطلالة مقدسة يطوف عليها لقدسية الحسن والجمال وهذا ينسحب مع أغلب الشعراء المحدثين منها قول: أحمد رفيق المهدوي .(5)

يامن على البعد نهواه ويهوانا لشدة ما شفانا شوق فأضنانا

فهو يتذكر دياره الجميلة التي قضى فيها أجمل الأوقات مع أحبابه في تلك الدور التي يطــوّق بها النخيل من كل جانب ، ولا غــرو أن هــذه الذكريات كان لها أكبر الأثر في الإبداع الأدبي لدى الشعراء المحدثين الذين صوّروا عصرهم أفضل تصوير

كما أنهم عبّروا عن أصالتهم ولم يعيشوا على فتات موائد غيرهم ، وأستطيع أن أقول في تلك الظاهرة أن بقاء الأطلال في الشعر الجاهلــي جاء يعبّر عن هموم الشاعر وقلقه ووطأة الحياة بعواملها السلبية على وجدانه في حياة لا تكون إلا للأقوياء؛ لأنها ظاهرة فيها كل الصدق والواقعية وتصوير الجوانب الخفية التي كان الشاعر يحاول أن يضن بها إيثارا للفحولــة والظهور بمظهر الرجل الخارق الذي لا تؤثر فيه العوامل ، إذا هذه الظاهرة ليست دخيلة على القصيدة الجاهلية ، وليست جزءا يمكن فصله عنها ولا استغناء عنه؛ بل ربما تكون هي الجزء الذي يقصد الشاعر إلى قوله (6) .

وأما ظاهــــرة الأطلال في العصر الحديث : وفي غيره من العصور التي تلت العصر الجاهلي فالكثير منها تقليد والسبب ؛ لأن الشاعر الذي يكون في بغداد، أو سامراء أو المدينة ، أو في مكة، أو في غيرها من الأمصار والمدن لا يكون بكاؤه بكاء طبيعياً أو حقيقياً صادقاً؛ إذ ليست هناك هموم وضغوط تنتاب الشاعر في هذه المدن ما كان بنتاب الشاعر الجاهلي من قلق ، وصراعات ، وعوامل نفسية ، فالشاعر يلبس ثوب الجاهليين وهو ليس منهم .

وأقول ذلك في شعر الشاعر الذي يقطن المدن ، أما الشاعر الذي ما زال يسكن الصحراء، فقد تقبل منه بكاءه الأطلال ؛ إذ ما يزال والصحراء موطنه بشــرط أن نلمس منه صدق العاطفة ، والصدق في التعبير.

وتبين لنا أن كل شاعر يعبر عن بيئته التي يعيش فيها ، لأن البيئة من أهم الجوانب التي تشكّل وجدان الشاعــر سواء كان في القديم أو الحديث ؛ لأن الشاعــر مرآة لمجتمعه وبيئته التي يعيش فيها وإذا لم يكن كذلك فلا يعد صادقاً ؛ بل بعد مقلدًا الله للآخرين ، فبذلك يفقد الشعر قيمته التي قيل من أجلها ولا يعد مصور الحياة الشعر.

ثانيا – النخيــل : صوّر الشــعراء الجاهليون النخيل وأبدعوا فــي تصويره ؛ لأنه شجر باســق ممشوق بنيته بين أمواج الرمل ووسط واحات الصحراء ، ويعطينا أحلى وأجمل الثمر وهذا نراه في قول عبيد بن الأبرص(7) :

كأن أضغانهم أن نخل مُوسَقَةٌ سود ذوائبها بالحمل مكمومة

فالوصف والتصوير لم يتعدا الإطار الخارجي ؛ لأن الشاعر الجاهلي غالباً ما ينظر إلى ظواهر الأشياء وما يحيط بها ، وما يتعامل معه في حياته اليومية ، ولذلك صور لنا البيئة العربية ونقلها إلينا في أبهى وأجمل صورة ، ومبعث ذلك الفطرة السليمة الخالية من أي شوائب ومتطلبات العصر ولقوة الملاحظة فعبيد بن الأبرص شبه أضغانهم الجميلة بالنخل لجمالها وروعة منظرها ، ويشـــبه امرؤ القيس الضغائن بوشيها الأحمر بالنخيل منصرم ، أو بجنة يثرب ذات الألوان الحمراء والخضراء . يقول:([8])

عَلَونَ بِأَنطاكِيَّةٍ فَوقَ عَقمَةٍ كَجِرمَةِ نَخلٍ أَو كَجَنَّةِ يَثرِبِ

هذا ما صوره الشاعر الجاهلي في النخيل.

وفي العصر الحديث : إذا نظـــرنا إلى تصوير الشعراء المحدثين ، نجد أنهم استفادوا من تصوير الجاهليين، ولم يقفوا عندها ؛ بل زادوا عليها، حيث قدّروا في النخيل الشموخ والسكنية ، والتفرد والعزلة والرحمة ، وتلك الأوصاف تلائم ميولهم الرومانسية ، ونجد ذلك على سبيل المثال لا الحصر في قول الهمشري([9]) :

قد طاب لي مقيلي في سهلك الجميل
في ظلك الظليل يا شجر النخيل
يا جنة الظلال يا مسح الجمال
قامتك الهيفاء ثمارك الحمراء
والخير والرخاء يا شجر النخيل
عروسة الصحراء يا كعبة الرخاء
ويا هواء تيهاء يا شجر النخيل

الشاعر الجاهلي : فالاختلاف في نظري من الشاعر الجاهلي ؛ لأنه كان مهتما بالصورة الخارجية ، ولم يتعداها إلى الاستنباط الداخلي.

والشاعر الحديث: كان الشاعر الحديث مهتما بما هو أبعد من تلك الأوصاف الخارجية ، وهو سبر أغوار الموصوفات حتى ظهرت فيها الأحاسيس والمشاعر الداخلية ، فجعل النخيل يشاركه أفراحه وأتراحه ، وكان ذلك دأبه في تصويره لمشاهد الصحراء الساكنة

إن المدارس الشعرية التي ظهرت في العصر الحديث كلها تنادي بأن يكون الشعر معبرا عن ذات الشاعر([10]) ، ولذلك قال الشاعر إبراهيم ناجي([11]) :

ألا يا طائـــر الفردوس إن الشـــعر وجدان

أي : يُعبّر عن وجدان الشاعـــر، وإذا لم يُعبّر عن الوجدان رمـــوْه بالجمود والتقليد

المبحث الثاني ـ الموازنـــة في مشاهد الصـــحراء المتحركة بين الشّعر الجاهلي والحديث:

أولاـ الريـــاح والسحاب : الشاعر الجاهلـي : كانت رؤية الإنسان العربي إلى الصحراء أنها تجي إليه في صور شتى منها. وإذا كانت رياح شمالية: فإنها محملة بالقحط والجفاف فتكون قوية وموحشة ، وتهدد ساكن الصحراء وتقلقه ؛ لأن ساكني الصحراء يعيشون في خيام يقول زهير في ذلك ([12]) :

أريت بها الأرواح كل عشـــية فلم يبق إلا الخيم منضد

إذا كانت رياح الصبا : فهي تحمل معها الرائحة الطيبة من الخضر والطيب فهذا امرؤ القيس يعبر عن ذلك في قوله ([13]) :

إذا قامتا تضوغ رائحة المسك منهما تنسيم الصبا جاءن بريا القرنفل

إذا كانت رياح الجنوب : فهي رياح محمله بالخير والطمأنينة فهي المسقطة لهطول الأمطار كما قال الشاعر عبيد بن الأبرص([14]) :

هبّتْ جنوبٌ بأعلاهُ ومالَ بهِ أعجازُ مُزنٍ يسُحّ الماءَ دلاّحِ

يتضح لنا مما تقدم أن العربي كان يحب بعض أنواع الرياح، وكان يكره بعضها الآخر ؛ لأنه يعدّها عامل من عوامل فنائه ، في تلك الصحراء التي لا تنفك من تلك العواصف العاتية التي تقلع خيامه التي تمثل المسكن الملاذ الذي يأوي إليه ، والإنسان

عندما يتهدد في مسكنة يشعر بخوف وقلق شديدين ، فلذا جاءت أشعاره مرافقة لما يحيط به مباشرة وعبّر عنها بفعله الخارجي.

رأي الشاعر الحديث : وأما الشاعر المحدث فيراها في كثير من الأحوال مختلفة عما رآها الشاعر الجاهلي ؛ لأنها تخفيف عنه آلامه وتخفيف آماله حيث ترفع صوته وشكواه إلى خالقه ونلحظ ذلك في قول الشاعر[15] :

يا رياح الوجود سيري بعنف وتغني بصوتك الأواه
وأن فجيني من روحك الغمم ما يبلغ صوتي أذان هذا الإله
فهو يصغي إلى القوي ولا يصغي بصوب بين العواصف واد
واسحقي الكائنات كونا يكون. قبل أن تنتهي أذل تناه
فالإله العظيم لم يخلق الدنيا سوى للفناء تحت الدواهي

السحاب : يتفق كل من الشاعر الجاهلي والحديث على أن السحاب هو سبب البقاء في الحياة ، وهذا يعطينا تأكيدا علي أن ماء السماء منحة من الله في كل وقت وحين، علما بأن الشاعر الجاهلي نظر إلى السحاب نظرة خارجية ، فأبدعوا الشعراء الجاهلين في وصف السحاب وفي تميزه بدقة متناهية في الصحراء , وما لذلك إلا لشدة اهتمامهم به وفرحهم لقدومه وترقبهم المستمر له ؛ لأنه مصدر البقاء والعيش لهم ولحيواناتهم , وفي ذلك قول لبيد بن ربيعة في وصف السحاب والمطر ، فيقول ([16]) :

فكلها هباب في الزمام كأنها صهباء خف مع الجنوب جهامها

الشعراء المحدثون: بالرغم أنهم اتفقوا مع الجاهليين على أن السحاب سبب البقاء والوجود في هذه الحياة إلا أنهم اتخذوه رمـزًا للنور ، فالسحاب يحي الهامد ويحرك الساكن ، فالشاعر يبدو أنه ميت من الشقاء وليس له خلاص إلا الغمامة السماوية التي تأتي بالنور كما صوّرها الشاعر المحدث محمود حسن إسماعيل ، حين قال([17]):

أقيل يا غرام روحي فالشط بعيد والروح باليأس مثقل
وغمام الحياة أغشى سوادي ونور المنى بقلبي ترحل
أنا ميت تغافل القبر عني وهو لود رأى شقوتي ما تمهل
فاسكبي لنا السنا وطوفي بنعشي ينعش الروح سحرك المتهلل

وفي الحقيقة لا يختلف الشاعر الجاهلي والحديث اختلافا كبيرا في وصف السحاب والرياح إلا أنه في صياغة الأبيات يعبر كل شاعر عن ظروف بيئته فالشعراء الجاهليون لديهم قوة في الألفاظ ودقة في المعاني ، وأما شعراء العصر الحديث فالملاحظ عندهم رقة في اختيار الألفاظ والمعاني ؛ لأنه يعبر عن بيئة حضارية مترفة مليئة بالجمال.

ثانيا ـ الحيوانات والطيور :

أ-الحيوانات : بالنظر إلى الشاعر الجاهلي في تصويره للحيوان نجده قد أولى اهتماما بالغا بالأبل والخيل والبقر الوحشي فصوّره تصويرًا ساميا ودقيقا ، ولعل أروع من صور ذلك امرؤ القيس، في بيته المشهور في عالم الأدب والبلاغة(18) :

كرِّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدْبِرٍ معًا كجُلمودِ صخرٍ حطّه السيلُ من علِ

فنلاحظ أن الشاعـر الجاهلي في هذا الجانب له فضل السبق لأنه مرتبطا ارتباطا وثيقا في حياته اليومية ؛ لأنها مصدر العيش وملاذه في كل متطلبات الحياة.

أما الشعراء المحدثون :

فقد وصفوا في أشعارهم تلك الحيوانات ، يقول الشاعر أحمد الشارف (19) :

وشاسعة الأطراف واسعة الفضاء فلم تذر في ظلمتها أين تذهب
ولم يك في الظلماء نورا مبددا بسببها إذ لاح كوكب
وتسمع أصوات الكلام مزيجة بغيمة هي من جاء بك مطلب
من راح في أرجائها وفجاجها يفاجئه ليث وذئب وثعلب

ولكن لم يركّـزوا عليها كثيرا بنفس ما فعل الشاعر الجاهلي , وهذا يرجع إلى ظروف البيئة التي يعيش فيها الشاعر الجاهلي والحديث فإذا كان الشعراء الجاهليون وصفوا الحيوانات وصفا غزيرا لشدة اهتمامهم بها ، فكذلك الشعراء المحدثون لم يهملوها ولكنها لم تكن بغزارة الشعر الجاهلي، ربما لتغير ظروف الحياة وحداثتها هي السبب الرئيس في ذلك.

ب-الطيور : لقد التقطت عين الشاعر الجاهلي صورا كثيرة للطيور لأنها استرعت انتباهه وكانت مشاهده غاية في الروعة وما تحمله من دلالات ذات ألوان وظلال لكل الموجودات في الصحراء التي عايشها وتعامل معها ,فكان يرفض رفضا مطلقا سكون

الحياة من حوله ,فتحولت كل الكائنات بما فيها الصحراء إلى كائن حي فتحرك النابض, وعلى سبيل المثال ما قاله امرؤ القيس في وصف حرب ناشئة بين (عقاب, وذئب) وما صوره .وما شاهده عن قرب حيث قال [20] :

كأنهما حين فاض الماء واحتفلت صقعاء لاح لها بالمرح الذيب
فأبصرت شخصية من فوق مرقبه ودون موقعه منها شتا خيب
صبت عليه ولم تصب من إن الشقاء على الأشقين مصبوب
كالدلو بثت عراها وهي مثقلة ولا كهذا الذي بالأرض مطلوب
كالبرق والريح شدة ميهما عجبا ما في اجتهاد عن الأسرع تغيب
فأقبلت نحوه في الجو كاسرة نصيبها من هواء الجو تصويب
فأدركته فنالنه خالبها فانسل من تحتها والدن مثقوب.

فهذه صور من الواقع المعاش، صـــوّرها الشاعر تصويرًا دقيقا في هذا الجانب فكانت صورة الماضي الجميل عند الشاعر الجاهلي . أما الشاعر الحديث فقد استفاد من الشاعر الجاهلي في هذا المجال الذي يعد أبرز النواحي عند الشعراء إلا أنهم أضافوا عليه في هذا الجانب لامتزاجهم بهذه الطيور ولم يقتصروا على الوصف الخارجي والمشاهد الخارجية للطيور في الصحراء ,إلا أنهم استمعوا إلى صوت الطائر المغرد فمنهم من سمع الطائر يشدوا فشدا معه,ومنهم من أحسه فناح معه ,فهذه الطيور المغردة تنثر في نفوس الشعراء المحدثين حزنا وألما وكآبة وتعكس عما في نفوسهم من تلك الأحاسيس بالفرح مرة والحزن مرة أخرى، ويأتي في مقدمة هؤلاء الشعراء "أبو القاسم الشابي" الذي أهتم بالطير ,وامتزج بروحه ,فهو يدعوه أن يصاحبه ويشاركه حزنه وهمه ,حين قال([21]):

غني أنشودة الفجر الضحوك
أيها الصداج
فلقد جر عني صوت الظلام
ألما من علمني كره الحياة
إن قلبي مل أصداء النواح
غني يا صاح.

فمنها الثقة للشاعر الطائر فهما ووعيا متبرما من المحيط به من بني جنسه مسلما نفسه وحسه وللطيور مع أغلب الشعراء المحدثين.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

أولا : في الشعر الجاهلي جاءت صورة الصحراء بالمشاهد الساكنة وكانت متمثلة في الوقوف على الأطلال –والنباتات ومشاهدها المتحركة والمتمثلة في السحاب والرياح.

وفي الشعر الحديث : تزامنت صورة الصحراء مع الذوق والخبرة التي اكتسبها من واقع الحياة الممزوجة بالصحراء ، فكأنها كانت أماله ليبثها الأحزان والآلام ، والرجوع إليها عند الشعور باليقين وشدة الألم ، فكأنها لسان حاله في التعبير .

ثانيا ـ الأطـــــلال في الشعر الجاهلـــي : جاءت الأطـلال في الشعر الجاهلـــي تُعبّر عن هموم الشاعـــر وقلقه ووطأة الحياة بعواملها السليبة علي وجدانه لا تكون إلا للأقوياء ؛ لأنها ظاهــرة فيها كل الصدق والواقعية مع تصوير الجوانب الخفية التي كان الشاعر يظن بها أنها أثار الفحولة والرجولـــة .

والأطلال في الشـــعر الحديث : أما الشاعر في العصر الحديث لم يكن عاش الحدث وتنقل بين جوانبه ، مع تصوره وإبداعه في التصوير كل الإبداع كما فعل ناجي في تصويره للأطلال التي بحث فيها الحركة وجعلها تخاطبه وتتحاور معه .

ثالثا ـ صورة الطائر في العصر الجاهلي : كانت صورة الطائر في العصر الجاهلي تفيض بالحياة وتعكس صورة المجتمع من اضراب وقلق فنلاحظ امرئ القيس علي سبيل المثال يصف حربا ناشئة بيت عقاب وذئب ، وهذا ما يحدث غالبا بين افراد المجتمع الجاهلي .

وصورة الطائر في العصر الحديث ، كانت الصورة في العصر الحديث أن الشاعر يستمع الي صوت الطائر ليشدوا فيطرب معه ويشدوا معه ويحسُ به ، فنلاحظ الفرق بين الشاعرين .

وبالله التوفيق

الهوامـــــــــــش :

[1] ديوان أمرئ القيس، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة،ط5، ص 6.
[2] ديوان البحتري، ص49.
[3] الأدب المقارن ، د.حسن جاد حسن ، دار المعلم للطباعة ط / 3. 1978 ،ص70
[4] ديوان ابراهيم ناجي : ص33
[5] ديوان احمد رفيق المهدوي : ص23
[6] ينظر في الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي : ص 115.
[7] ديوان عبيد بن الأبرص، ص80.
[8] ديوان أمريء القيس، ص 56.
[9] ديوان الهمشري، ص 170.
[10] الأدب في العصر الحديث ، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، ج2، ص35.
[11] إبراهيم ناجي، وراء الغمام، ص90 .
[12] ديوان زهير بن أبي سلمى :ص23
[13] ديوان امرؤ القيس:ص52.
[14] ديوان عبيد بن الأبرص:ص54 جنوب : ريح آتية من جهة الجنوب ، والمزن السحاب الممطر ، دلاح : كثير الماء ، والمعنى :هبت ريح جنوبية بأوله ، وأماله السحاب الذي أمطر بغزارة
[15] ديوان أبوالقاسم الشابـــي، أغاني الحياة، ص 108.
[16] ديوان لبيد بن ربيعة، ص163.
[17] محمود حسن إسماعيل، رياح المغيب، ص 257.
[18] ديوان امرئ القيس، ص 87.
[19] ديوان أحمد الشارف، ص 208.
[20] ديوان امرئ القيس، ص 80.
[21] أغاني الحياة، أبوالقاسم الشابي، ص 52.